الدرس الخامس والعشرون

بسم الله الرحمـن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ؛ قال " لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة وتصومُ رمضان وتحجُ البيت " ثم قال : " ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة والصدقةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل " ثم تلا { تتجافى جنوبهم عن المضاجع } حتى بلغ {يعملون}، ثم قال : " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ " قلت بلى يا رسول الله ؛ قال : " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد " ، ثم قال " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ " قلت بلى يا رسول الله ؛ فأخذ بلسانه وقال "كف عليك هذا " قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال " ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال على مناخرهم– إلا حصائد ألسنتهم " رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

الشرح..

هذا الحديث من أعظم الأحاديث الجامعة في موجبات الجنة والنجاة من النار ؛ حيث إن معاذاً رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال العظيم " أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار " . وهذا فيه الدلالة على عظم حرص الصحابة على موجبات الخير، وأسباب الفلاح، والنجاة من النار وسخط الله جل وعلا ؛ فسأل سؤال حريص على الخير راغبٍ فيه ، سأل سؤال صاحب همة عالية وعزم أكيد على العمل بما يُوجَّه عليه ويُدَلُّ عليه ؛ فقال رضي الله عنه " أخبرني بعمل

يدخلني الجنة ويباعدني من النار " ؛ فسأل أن يدله النبي عليه الصلاة والسلام على الأعمال التي تكون بها النجاة من النار ويكون بها دخول الجنة .

وقوله رضي الله عنه " بعملٍ " : هذا مفرد مضاف ؛ فهو يفيد أنه يسأل عن عموم الأعمال لا عن عمل واحد ؛ ولهذا أجابه النبي عليه الصلاة والسلام بأعمال عديدة توجب دخول الجنة والنجاة من النار ؛ فقوله "بعمل" : يسأل عن أعمال التي يكون بها النجاة من النار ودخول الجنة ؛ ولهذا ذكر له النبي أموراً عديدة يُنال بها ذلك كما سيأتي في حديثه عليه الصلاة والسلام .

وقوله " بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار " : يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم حريصون على هذا الأمر ؛ يعملون الأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات وأنواع القربات من أجل دخول الجنة والنجاة من النار ؛ فهذا لهم مقصد ؛ ولهذا يسألون من جهة ، ويدعون الله تبارك وتعالى من جهة بأن يدخلهم الجنة ويوفقهم لها وما قرب إليها من العمل، وأن يعيذهم من النار وما قرب إليها من العمل ، ويبذلون الأسباب التي تُنال بها الجنة وتكون بها النجاة من النار ؛ فالجنة دخولها لهم مقصد وكذلك النجاة من النار ؛ وهذا يذكرنا بقصة الأعرابي

الذي قال للنبي عليه الصلاة والسلام : " إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ " : يقصد الأذكار والدعوات التي يُعنى بها ويُعنى بها معاذ وغيره من الصحابة ؛ أي الكلام الذي تقوله ويقوله معاذ ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "ماذا تقول؟" ، قال أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم " حولها ندندن " ؛ يعني أنا ومعاذ وعموم الصحابة حولها ندندن . ومعاذ رضي الله عنه خصَّه بالذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم " حولها ندندن " ؛ حتى يشمل الصحابة بما فيهم معاذ رضي الله عنه

ومن هذا الحرص ومن هذا المنطلق جاء هذا السؤال العظيم عن معاذ رضي الله عنه .

مثل قول وفد عبد القيس عندما جاءوا للنبي عليه الصلاة والسلام قالوا : " مرنا بقول فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة " .

وكثيراً ما يأتي مثل هذا في سؤالات الصحابة رضي الله عنهم ، فدخول الجنة والمباعدة من النار مقصدٌ يسعون حثيثاً لنيله وتحقيقه .

وإذا علمنا هذا علمنا الضلال المبين والانحراف الشديد الذي عليه بعض الطرقية من أصحاب بعض الطرق الفاسدة الذين يقولون : نحن نعبد الله حباً فيه لا طلباً لثوابه ولا خوفاً من عقابه ، لا نريد جنة ولا نخاف من النار.. ؛ وهذا الكلام لو سمعه جاهل ربما اغتر به ، وظن أن هذا من تحقيق المحبة ، بينما حقيقة هذا الكلام انحراف في الدين ، وزيغ عن صراط

الله المستقيم ، وعن نهج الأنبياء المرسلين والأولياء الصالحين ؛ فالأنبياء كلهم يعملون حباً لله وطلباً للدخول إلى الجنة والنجاة من النار ؛ إبراهيم عليه السلام يقول {واجعلني من ورثة جنة النعيم} وهكذا عموم الأنبياء ، ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول ـ كما مر ـ "حولها ندندن " وفي دعواته عليه الصلاة والسلام المأثورة عنه كثيراً ما يأتي سؤال الله الجنة والنجاة من النار ، وأولياء الله المقربين ؛ دخولُ الجنةِ والمباعدةُ عن النار مقصدٌ من مقاصدهم في التقرب والعبادة ؛ وهذا هو السبيل القويم والصراط المستقيم . أما من يقول أنا أعبد الله حباً فيه لا طمعاً في ثوابه ولا خوفاً من عقابه ؛ فهذا نهج انحرافٍ وزيغٍ عن سبيل الأنبياء والصالحين من عباد الله .

قال " لقد سألت عن عظيم " : هذا أيضاً فيه تأكيد لما سبق ؛ وهو أنه من أراد بعمله دخولَ الجنة والنجاةَ من النار فقد أراد أمراً عظيماً ؛ فقوله عليه الصلاة والسلام "لقد سألت عن عظيم" فيه إشادة بهذا الذي سأل عنه معاذٌ رضي الله عنه ، وتنويه بمكانة السؤال وعظم شأنه ؛ فالذي سألت عنه ليس أمراً هيناً بل هو أمرٌ عظيم وأمرٌ جليل ينبغي أن تتظافر الهمم والعزائم لتحقيقه ونيله .

قال " وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه " : أيضاً يتضمن هذا الكلام أن الذي تُنال به الجنة ويُباعد به عن النار أمرٌ عظيم لكن الله تبارك وتعالى ييسره لمن وفقهم جل وعلا من عباده لأن يكونوا من أهل الجنة والمباعدة عن النار والفضل بيد الله جل وعلا والله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، والتيسير بيد الله جل وعلا ، وفي القرآن قال تعالى {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى} فالتيسير بيده .

وقوله "من يسره الله عليه " : يفيد فائدة مهمة جداً في هذا الباب وهي أنك قبل أن تقرأ الأعمال الآتية تعلَّم أنَّ تيسيرَ فِعلِها أو تيسرَ فِعلِها لك إنما هو بيد الله ؛ فابدأ أعمالك كلها بطلب العون والتيسير منه ؛ لأنك لا تستطيع أن تقوم بهذه الأعمال أو بغيرها من الأعمال إلا إذا يسرها الله لك وأعانك على فعلها ؛ ولهذا جاء في حديث آخر لمعاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له " يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " ؛ فأنت في كل عمل وفي كل طاعة وفي كل عبادة وفي كل سبب يوجب دخول الجنة والمباعدة من النار بحاجة إلى عون الله ؛ فقوله "على من يسره الله تعالى " يؤكد العناية بالاستعانة والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى بطلب التوفيق والهداية والسداد والعون على العبادات والأذكار وأنواع الطاعات .

ثم بيَّن عليه الصلاة والسلام ذلك قال : " تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت " ؛ فذكر له عليه الصلاة والسلام فرائض الإسلام ومبانيه العظام ، وقد مر معنا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ومر في حديث جبريل ..

فهذه الأمور الخمسة هي مباني الإسلام وهي الأساس في دخول الجنة والنجاة من النار ؛ ولهذا جاء في قصة الرجل الأعرابي الذي ذكر له النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأمور الخمسة فأمسك بيده وقال " والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص " فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أفلح إن صدق" أو قال "دخل الجنة إن صدق" فمن صدق مع الله جل وعلا وأتى بهذه الأمور الخمس أتى بفرائض الإسلام واستحق دخول الجنة بتوفيق الله سبحانه وتعالى وفضله .

فهذه الفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ، وما عاداها من نوافل أو رغائب ؛ إن فعلها أُثيب وإن لم يفعلها لم يُعاقب ـ هذا في باب الأعمال ـ ويلزم أن يُضم إلى ذلك ترك النواهي والمحرمات لأن المحرمات موجبة لسخط الله تبارك وتعالى وعقابه ؛ ولهذا مر معنا في الحديث السابق الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم "أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحرام وحرمت الحرام أأَدخل الجنة ؟ قال نعم " فلابد من الابتعاد عن الأمور التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده ونهى عباده عنها .

قال " تعبد الله لا تشرك به شيئاً " : في حديث ابن عمر وفي حديث جبريل قال : " تشهد أن لا إله إلا الله " ، وهنا ذكر الشهادة بمعناها قال : " تعبد الله لا تشرك به شيئاً " وهذا هو معنى أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فذكرها هنا بالمعنى ؛ ولهذا حديث معاذ يُعَدُّ تفسيراً لِـ لا إله إلا الله ؛ فلو قال قائل : ما معنى لا إله إلا الله ؟ فقال المجيب : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ؛ لكان الجواب وافياً ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر هنا لا إله إلا الله بمعناها .

تعبد الله لا تشرك به شيئاً : تفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وتبرأ من الشركِ كُلِه صغيرِه وكبيرِه ، دقيقِه وجليلِه .

قال " وتقيم الصلاة " : أي المكتوبة ؛ وهي خمس صلوات افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده في اليوم والليلة .

" وتؤتي الزكاة " : أي الزكاة المفروضة ، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وهي مفروضة على الأغنياء الذين بلغ مالهم النصاب ، الذي يلزم من بلغ ماله النصاب أن

يخرج القدر المعلوم المبين في الشريعة ، وهو قدر يسير من شيء كثير منَّ الله سبحانه وتعالى به على عبده ، وسميت زكاةً لأن فيها تزكية لصاحبها ووقاية من شح النفس ، ولأن فيها تزكية لماله وبركة فيه .

قال " وتصوم رمضان " : وهو شهر واحد في كل عام افترضه الله سبحانه وتعالى على عباده .

قال " وتحج البيت " : وهو فرض في العمر كله مرة واحدة كما قال عليه الصلاة والسلام " الحج مرة فمن زاد فهو تطوع " .

لما ذكر عليه الصلاة والسلام هذه الفرائض وبها أجاب صلى الله عليه وسلم على سؤال معاذ رضي الله عنه ؛ انتقل إلى ذكر أبواب الخير التي تكون بها الرفعة في الجنة وعلو المنازل ؛ ويكون عليه الصلاة والسلام أجاب معاذاً رضي الله عنه بسؤاله الذي سأل عنه وأيضاً بالرفعة في الجنة ببلوغ عالي المنازل ورفيع الدرجات .

فالذي ذكره أولا وهو الخمس هذا هو الذي يدخل الجنة ويباعد من النار وما سيأتي بعد قوله " ألا أدلك على أبواب الخير" أي التي يكون بها الرفعة وعلو المنازل { ولكلٍ درجات مما عملوا } فهذه أمور ترتفع بها الدرجات وتعلو بها المنازل في الجنة أما الذي يوجب دخول الجنة والمباعدة م النار هذه الفرائض الخمس التي م فعلها ولم يزد عليها ولم يقص دخل الجنة ومن زاد عن ذلك فهو تطوع ونفل ومستحب ترتفع به درجات العبد عند الله سبحانه ولهذا صدر الحديث عن ذلك صلوات الله وسلامه عليه " ألا أدلك على أبواب الخير" : أي مما ينال به رفيع الدرجات وعالي المنازل في الجنات .

" ألا أدلك " : هذا في التشويق والترغيب والحث على الخير .

" الصومُ جنة " : المراد بالصوم هنا النوافل ـ صيام التطوع ـ ؛ لأن صيام الفريضة ذكره أولاً عليه الصلاة والسلام . وهنا رغَّب عليه الصلاة والسلام بقوله " الصوم جنة " بصيام النافلة ، مثل صيام الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصيام يوم التاسع والعاشر من شهر الله المحرم ، وصيام يوم عرفة لغير الحاج ، وغير ذلك من صيام التطوع الذي جاء عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فحثَّ على الصيام ورغَّب فيه .

" الصوم جُنَّة " : أي الصوم وقاية ، ولم يذكر وقاية من ماذا ؛ وهذا يدل على أن الصيام وقاية من الذنوب والمعاصي كما يدل لذلك قوله عليه الصلاة والسلام " فمن لم يستطع . أي النكاح . فعليه بالصيام فإنه له وجاء" أي وقاية .

وأيضاَ وقاية من النار كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام "من صام يوماً في سبيل الله باعده الله عن النار سبعين خريفاً " .

وكلما زاد العبد من الصيام ـ صيام النفل . زاد حظُه من هذه الجُنة ومن هذا الواقي من الذنوب لأن الصيام صبر ومنع للنفس وتدريب لها وتمرين على الامتناع ، والمعاصي تحتاج إلى صبر ، والصيام مدرسة عظيمة في الصبر ، يربي الإنسان على الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على أقدار الله المؤلمة ؛ ولهذا سمى نبينا عليه الصلاة والسلام شهرَ رمضان بشهر الصبر" صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وحر الصدر ".

قال " والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماءُ النار" : المراد بالصدقة أي النافلة ، صدقة التطوع ، أما الصدقة التي هي الزكاة المفروضة فمرت معنا ؛ لكن المراد هنا الصدقة التي هي التطوع بحيث يحرص العبد على البذل والإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وطلباً لثوابه .

ثم ذكر عليه الصلاة والسلام أثر الصدقة العظيم فقال: " الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ" ؛ وهذا مثال للتوضيح ؛ يعني إذا أردت أن تعرف مدى إطفاء الصدقة للخطيئة فانظر إلى الماء إذا صُبَّ على النار ماذا يصنع به ؟ لا يبقي لها أثراً ؛ فكذلك الصدقة فهي تطفئ الخطيئة ؛ وهذا فيه بيان الأثر العظيم للصدقات والنفقات والبذل في سبيل الله في تكفير الخطايا وتكفير الذنوب .

والخطيئة التي تُطفأ بالصدقة هي الصغيرة وأما كبائر الإثم فتحتاج إلى توبة من الذنب { إن تجتنبوا كبائر من تُنهون عنه نُكفر عنكم سيئاتكم } وقال عليه الصلاة والسلام " الصلوات الخمس ورمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهن ما اجتُنبت الكبائر" لاحظ هذه فرائض ، والفريضة أعظم في تكفير الذنوب من النافلة لكن اشترط عليه الصلاة والسلام اجتناب الكبائر ؛ فالكبيرة تحتاج إلى توبة .

" وصلاة الرجل في جوف الليل " : وهي نافلة وأمر مستحب لكنها داخلة في أبواب الخير العظيمة كما قدم نبينا عليه الصلاة والسلام بذلك "ألا أدلك على أبواب الخير" ؛ فالنافلة في جوف الليل من أعظم أبواب الخير ومن أعظم أسباب القرب من الله جل وعلا . قد قال عليه الصلاة والسلام "ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر" ؛ ولهذا فإن وقت ثلث الليل الآخر من أحرى أوقات الإجابة للدعاء ، ووقت عظيم للتنفل والتقرب إلى الله عز وجل بالصلاة والذكر والاستغفار .

ثم تلا قول الله تعالى { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزآءً بما كانوا يعملون} ولاحظ هنا كل نفلٍ ذكره عليه الصلاة والسلام أتبعه بما يُرَغِّب فيه ويحث على فعله ؛ فحث على نافلة الصيام وذكر ما يرغب في فعلها وهو أنه جنة ، وذكر عليه الصلاة والسلام نافلة الصدقة وذكر ما يرغب في فعلها وهي أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار ، وذكر نافلة الصلاة في جوف الليل وذكر ما يرغب فيها وهو قول الله جل وعلا { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزآءً بما كانوا يعملون} وهذا فيه أن النعيم الذي أعده الله سبحانه وتعالى لهم هو نعيم لم تره عين ولم تسمع به أذن قط .

فهنا رغَّب عليه الصلاة والسلام في ثلاث خصال وثلاث أعمال من أبواب الخير : صيام النفل وصدقة النفل وصلاة النفل في جوف الليل .

ثم قال " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، قلت بلى يا رسول الله " : ثلاثة أمور سيخبره النبي صلى الله عليه وسلم بها وقدم بهذه التقدمة " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه " والمراد برأس الأمر أي الدين ؛ أي الأمر العظيم الذي خُلِقَ الخَلْقُ لأجله وأُوجدوا لتحقيقه .

وقد مر معنا قوله عليه الصلاة والسلام " من أحدث في أمرنا " أي ديننا ، وقوله أيضاً " وإياكم ومحدثات الأمور " أي الأمور التي في الدين .

فهنا ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم أن الدين له رأس وله عمود وله ذروة سنام ، وذروة السنام أعلاه وأرفعه

قال " رأس الأمر الإسلام " : الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله . فرأس الأمر وأساسه أن يكون العبد موحداً مخلصاً لله تبارك وتعالى منقاداً له مطيعاً بريئاً من الشرك بعيداً عنه ؛ فهذا هو الأساس الذي يُبنى عليه دين الله تبارك وتعالى ولهذا قال : " رأس الأمر الإسلام "؛ أي أن يكون العبد مستسلماً لله مخلصاً له منقاداً بعيداً عن الشرك .

قال " وعموده الصلاة ": وهذا فيه بيان المكانة العظيمة للصلاة المكتوبة من الدين .

فذكر أولاً رأس الأمر وهو توحيد الله وإخلاص الدين له ؛ ثم ذكر بعد ذلك أعظم فرائض الدين بعد التوحيد وهو الصلاة قال " وعموده الصلاة " وفي هذا بيان لمكانة الصلاة من الدين وهي بمثابة العماد ، وقد قيل :

والبيت لا يُبتنى إلا بأعمدةٍ ولا عماد إذا لم ترسَ أوتادُ

الخيمة لا تقوم إلا على عماد في وسطها وإذا سقط العماد سقطت الخيمة ؛وهذا فيه بيان النبي عليه الصلاة والسلام للصلاة وأنها في الدين بمثابة العمود الذي لا تقوم الخيمة إلا عليه ؛ ولهذا جاءت أدلة وأحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله تدل على كفر تارك الصلاة ؛ لأن العمود الذي يُبنى عليه الدين سقط عنده وليس موجوداً .

فتارك الصلاة كافر كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ وكما دلَّ عليه هذا الحديث ـ وكما دل على ذلك القرآن الكريم ، وعندما يُسأل أهل النار يوم القيامة عن سبب دخولها {ما سلككم في سقر قالوا لم نكُ من المصلين} .

قال " وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " : وهذا فيه بيان مكانة الجهاد في سبيل الله من الدين وأن له المكانة العلية والمنزلة الرفيعة فيه .

والجهاد ليس من أركان الإسلام ، مثل ما جاء في حديث ابن عمر ؛ قيل له ألا تجاهد ؟ قال "بنيَ الإسلام على خمس" لكن الجهاد بمراتبه له منزلة علية من الدين :

- مجاهدة النفس على طاعة الله .
- ومجاهدة الشيطان .
- ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء .
- ومجاهدة أهل الضلال .
- ومجاهدة الكفار .

فهذا يبين لنا الجهاد بمفهومه الواسع وأن تحقق الدين وحصول الرفعة لأهله وحصول الرفعة للمجاهد لنفسه وللشيطان ؛ لا يكون إلا بالجهاد ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام "ذروة سنامه " ولا يبلغ الإنسان الدرجة العلية في دين الله تبارك وتعالى إلا بالجهاد قال تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} لا يبلغ العبد المنزلة العلية والرتبة الرفيعة إلا بالجهاد ، بلوغها متوقف على الجهاد والمجاهدة بأنواعه وبمراتبه ؛ يبدأ أول ما يبدأ بمجاهدة نفسه على طاعة الله

والعناية بالفرائض ، وهذه الصلوات تحتاج من العبد أن يجاهد نفسه على فعلها ، وإذا لم ينتصر على نفسه في فعل الصلوات ؛ ليس مؤهلاً لأن ينتصر على العدو لأن نفسه لم ينتصر عليها لتقوم بأداء الفرائض والقيام بواجبات الدين والأمور التي خُلق لأجلها ، من لم يستطع أن يجاهد نفسه على القيام لصلاة الفجر وغيرها من الصلوات ليس مؤهلاً لمجاهدة الأعداء لأن نفسه لم يجاهدها ؛ ولهذا الجهاد هو الذي ينال به العبد أرفع الدرجات وعالي المنازل ولهذا قال " ذروة سنامه الجهاد" وهذا في التنبيه إلى أن العبد لا يبلغ المنازل العلية والرتب الرفيعة في الدين وفي الجنة يوم القيامة إلا بالجهاد .

قال " ألا أخبرك بملاك ذلك كله " : أي ألا أخبرك بأمر يجمع ذلك ، وبضبطه يتيسر لك ذلك وكل خير وملاك الأمر زمامه وجماعه .

" قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه " : أي أخذ النبي عليه الصلاة والسلام بلسان نفسه .

" وقال كُفَّ عليك هذا " : أي احفظ لسانك ، وصنه .

" قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ": يعني هل نحن مؤاخذون فيما نتكلم ونقول ؟ ويكتب علينا ؟

فقال" ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " : وهذا يدل على خطورة اللسان ، وأن اللسان إما أن يكون لصاحبه ملاك خير إذا صان وحفظ لسانه أو أن يكون لصاحبه والعياذ بالله باب شر.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم "بملاك ذلك" يدل على الخطورة الشديدة للسان ، وأن الإنسان إن حفظ لسانه حفظ أعماله ، وإن ضيَّع لسانه ضيَّع أعماله ؛ يدل لذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام "إذا أصبح بنُ آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّرُ اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك " ـ أي تابعين لك في الخير وفي الشر ـ " فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا " فهذا يبين الخطورة الشديدة للسان ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه "كف عليك هذا" أي احفظ لسانك ، وقد مر معنا قريباً قول نبينا عليه الصلاة والسلام "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " ؛ وهذا يوضح معنى قوله "كف عليك هذا " ؛فمعنى " كف " إما أن تتكلم به في أمر هو خير أو تمنعه من الكلام مطلقاً ، وقد مر معنا في هذا الباب كلمة عظيمة جداً للإمام الشافعي رحمه الله تعالى وفيها بين رحمه الله تعالى أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم ينظر في الكلام الذي يود أن يقوله فإذا وجده خيراً تكلم ، وإذا وجده شراً امتنع أو إذا لم يتبين له أيضاً يمتنع .

فلا يتكلم إلا بم يتيقن من الكلام أنه خير ومباح وما سوى ذلك يمتنع عنه .

قال "كُفَّ عليك هذا " : الكف هو المنع ؛ وهذا فيه دلالة على أن اللسان يحتاج إلى أن يُمنع ، أن يُكف ، وكان بعض الصحابة يقول :" ليس هناك شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان " . فلا يسمح له أن يتكلم إلا بالأمر الذي تحقق أنه خير وفائدة .

قال " وهل يكب الناس في الناس على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " : وهذا فيه أن أكثر ما يدخل به الناس النار هو حصاد اللسان .

قال : الشيخ عبد المحسن :

[الأول : قوله " قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار" : يدل على حرص الصحابة على الخير ومعرفة الأعمال التي بها حصول الجنة والسلامة من النار ، ويدل على وجود الجنة والنار ، وأن أولياء الله يعملون الصالحات ليظفروا بالجنة ويسلموا من النار ، وهذا بخلاف ما يقوله بعض الصوفية أنهم لا يعبدون الله رغبةً في جنته وخوفاً من ناره ؛ وهو باطل لحرص الصحابة على معرفة الأعمال الموصلة إلى الجنة والمباعدة من النار ، وقد قال الله تعالى لخليله {واجعلني من ورثة جنة النعيم} ، ويدل أيضاً على أن الأعمال الصالحة سببٌ في دخول الجنة ، وقد جاء في ذلك آيات كثيرات منها قول الله عز وجل {وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون} ، وقوله {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزآءً بما كانوا يعملون}، وذلك لا ينافي ما جاء في الحديث " لن يدخل أحدكم بعمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه " رواه البخاري ومسلم ، فإن الباء في الحديث للمعاوضة وفي الآيات للسببية ، ودخول الجنات ليس عوضاً عن الأعمال ؛وإنما الأعمال الصالحات أسبابٌ لها ، والله عز وجل تفضَّل بالتوفيق للسبب وهو العمل الصالح وتفضَّل بالجزاء الذي هو دخول الجنة ؛ فرجع الفضل في السبب والمسبب إلى الله سبحانه وتعالى] .

الشرح..

هذه أربع فوائد مستفادة من قوله " قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار "

فالفائدة الأولى حرص الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم على الخير ومعرفة أعمال الخير والبر .
والفائدة الثانية : أن في هذا دليل على وجود الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان موجودتان .
والحديث تدل عليه دلائل كثيرة في القرآن والسنة مثل قول الله عز وجل عن الجنة {أُعدت للمتقين} أي هُيئت وخُلقت وأُوجدت ، وكذلك النار .
الفائدة الثالثة : الرد على من يقول نحن نعبد الله لا خوفاً من عقابه ولا رغبة في ثوابه فإن أولياء الله يعملون رغبة لدخول الجنة والنجاة من النار..
الفائدة الرابعة : في هذا دلالة على أن الأعمال الصالحة سببٌ في دخول الجنة ؛ ولهذا سأل معاذ رضي الله عنه عن عمل يدخله الجنة أي يكون سبباً لدخولها .

وكون العمل سبباً لدخول الجنة كما يدل عليه هذا الحديث ويدل عليه قوله تعالى{وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون}، وقوله {أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزآءً بما كانوا يعملون} نظائر ذلك من الآيات ؛ فالباء هنا هي باء السبب وليست باء المعاوضة ؛ ولهذا لا تنافي بين هذه الآيات وبين قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث "لن يدخل أحدكم بعمله الجنة" ؛ فليس الباء في قوله "بعمله" باء السبب ؛ وإنما باء المعاوضة ؛ أي أن العمل مهما عظم وكبر ليس أمراً يكون معاوضاً لدخول الجنة ؛ لكن العمل يكون سبباً لدخول الجنة وبفضله ومنته سبحانه وتعالى على عباده .
فهناك فرق بين { جزآءً بما كانوا يعملون} هذه باء السببية والباء في قوله "لن يدخل أحدكم بعمله الجنة" أي على سبيل المعاوضة

[ثانياً : قوله " لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه" : فيه بيان عظيم منزلة هذا السؤال وأهميته والتشجيع على مثله حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المسؤول عنه فيه بأنه عظيم ، ومع عظمه ومشقة الإتيان به فقد أتبعه النبي صلى الله عليه وسلم بما يبين سهولته ويسره على من يسره الله عليه ، وهو يدل على أن المسلم يصبر على الطاعات ولو شقت على النفوس لأن عاقبة الصبر حميدة وقد قال الله عز وجل {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً } ، وقال صلى الله عليه وسلم "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " . رواه البخاري ومسلم] .

الشرح..

النبي عليه الصلاة والسلام استعمل مع أصحابه أرفع طرق التعليم ووسائله ، واستعمل كل أسلوب نافع ومفيد في التمكين للعلم والتثبيت له والتشويق لفهمه ؛ فكان صلى الله عليه وسلم خير معلم ، ومن نهجه المبارك عليه الصلاة والسلام في التعليم وأساليبه العظيمة في تقريره وتثبيته هذه الطريقة لما سأله معاذ قال "لقد سألت عن عظيم" ؛ وهذا فيه فائدة للسائل إذا كان سؤاله عظيماً أو مفيداً أو نافعاً فيُذكر له ذلك ؛ لماذا ؟ لأنه هو يستفيد ؛ لأن السؤال الذي طرحه له قيمته وله أهميته وله مكانته ؛ فيحرص في سؤالاته الآتية أن تكون أسئلته بمستوى هذا السؤال ، وأيضاً السامعين لذلك ينفعهم بأن ينهضوا بسؤالاتهم إلى هذا المستوى ؛ فهذا فيه أسلوب تشجيع وتقوية للسائل ورفع همم الآخرين ؛ مثل لو سأل سائل ، وكان السؤال على قدر من الأهمية ؛ فقال العالم قبل الإجابة : هذا سؤال جيد ، هذا سؤال مفيد، هذا سؤال نافع ، جزى الله السائل خيراً على هذا السؤال ، أو نحو ذلك من الكلمات ؛ فلا شك أنها تفيد جداً .

قال " وإنه ليسير " : بيَّن عليه الصلاة والسلام أنه يسير حتى لا يأخذ الإنسان في ذهنه مأخذاً بعيداً عندما يسمع أنه عظيم فيستصعب الأمر ؛ فقال عليه الصلاة والسلام " وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه " وبهذه الجملة نبه على أمرين :

الأمر الأول : نبَّه على طلب التيسير من الله واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في ذلك ؛ لأن التيسير بيده .

الأمر الثاني : نبَّه على بذل الأسباب بمعرفة هذه الأعمال والخصال وفعلها ومجاهدة النفس على فعلها لينال هذا الأمر وهو دخول الجنة والنجاة من النار .

وإذا واجه الإنسان شيئاً من المشاق في العمل يذكر أن الشيء الذي يطلبه بهذا العمل أمرٌ عظيم جداً ، يريد الجنة وهي غالية ، ويريد النجاة من النار وهي خطيرة جداً وألمها شديد وعقابها عظيم ، والجنة حُفت بالمكاره ؛ ولهذا إذا شقَّ على الإنسان العمل عليه أن يعتني بالأمرين ؛ يسأل الله التيسير ويجاهد نفسه على العمل لأن أمامه مطلباً عظيماً ومقصداً جليلاً وهو دخول الجنة والنجاة من النار ، وذكر الجنة والنار يحفز العبد .

ومما يُذكر في هذا المقام ويُتناقل في الأخبار ولم أقف على شيء يدل على صحته وإنما سمعته يُتناقل أن أحد الأشخاص يوماً صلى مع الشيخ محمد بن عثيمين رحمة الله عليه وهو جالس في مُصلاه بعد الفجر يقول فسمعت الشيخ يقول " يا محمد النار" . والشيخ ما كان يحسب أن أحداً قريباً منه ـ ..

فإذا ذكر الإنسان النار والله عز وجل يقول { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا} إذا كنت على يقين من المرور على النار و وُرُود النار وفي شك من النجاة ؛ فمثل هذه الأمور تعين العبد وتسهل عليه المصاعب والمشاق ؛ فالجنة حُفت بالمكاره والنار حُفت بالشهوات ، الشهوات التي تطلبها نفسُ العبد تفضي به إلى النار ، والأمور التي قد تشق على الإنسان وتحتاج منه إلى شيء من المجاهدة هي التي ينال بها ثواب الله عز وجل وتكون بها نجاته ، ورأس الأمر في هذا الباب تقوى الله ولهذا قال الله {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً}

[ثالثاً قوله " تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت " بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهم شيء يُتقرب به إلى الله ويحصل به الظفر بالجنة والسلامة من النار أداءُ الفرائض ؛ وهي في هذا الحديث أركان الإسلام الخمسة التي جاءت في حديث جبريل وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "بنيَ الإسلام على خمس" وقد جاء في الحديث القدسي "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ".

وقوله "وتعبد الله ولا تشرك به شيئاً" مشتملٌ على بيان حق الله وهو إخلاص العبادة لله ، ويدخل في ذلك شهادة أن محمداً رسول الله ؛ لأن عبادة الله لا تُعرف إلا بتصديقه صلى الله عليه وسلم ، والعمل بما جاء به وكل عمل يُتقرب إلى الله لا ينفع صاحبه إلا إذا كان خالصاً لله ومبنياً على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشهادتان متلازمتان؛ لابد مع شهادة أن لا إله إلا الله من شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذُكرت في الحديث هذه الأركان مرتبةً حسب أهميتها ، وقُدمت الصلاة لكونها صلةٌ وثيقة بين العبد وبين ربه لتكررها في اليوم والليلة خمسة مرات ، وذكر بعدها الزكاة لأنها لا تأتي في العام إلا مرة واحدة ، ونفعها يحصل لدافع الزكاة والمدفوعة إليه ثم بعد ذلك الصيام لتكرره في كل عام ، وبعده الحج لأنه لا يجب في العمر إلا مرةً واحدة] .

الشرح..

هذه الجملة وهي قوله " تعبد الله " إلى قوله " وتحج البيت " ؛ ذكر فيها الفرائض ، ثم أتبع ذلك بذكر النوافل والرغائب لقوله " ألا أدلك على أبواب الخير" إلى آخره ؛ ولهذا يحسن بالعبد ويجمل به أن يستحضر هنا قول الله تعالى في الحديث القدسي " ما تقرب إليَّ عبدي بشيء

أحب إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه " فيبدأ أولاً بالفرائض عنايةً واهتماماً ومحافظةً ومواظبة ؛ ثم بعد ذلك يأتي بالنوافل لا أن يحافظ على النوافل ويضيع الفرائض أو الواجبات .

والفرائض هي هذه التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم أولاً : إخلاص الدين لله " تعبد الله ولا تشرك به شيئاً " ؛ وهذا يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله لأن عبادة الله بالإخلاص لا تُعرف إلا بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به ؛ فتضمن قوله " تعبد الله ولا تشرك به شيئاً " شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الفرائض حسب أهميتها ؛ فبدأ بالشهادة أولاً ثم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج فذكرها عليه الصلاة والسلام مرتبةً حسب أهميتها .

[رابعاً: قوله " ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا { تتجافى جنوبهم عن المضاجع} حتى بلغ {يعملون} " : لما بين صلى الله عليه وسلم الفرائض التي هي سببٌ في دخول الجنة والسلامة من النار ؛ أرشد صلى الله عليه وسلم إلى جملة من النوافل التي يتحصل للمسلم بها زيادة الإيمان وزيادة الثواب وتكفير الذنوب ؛ وهي الصدقة والصيام وقيام الليل ، وقال عن الصوم " الصوم جنة" والجُنة هي الوقاية ، والصوم وقاية في الدنيا والآخرة ؛ فهو وقاية في الدنيا من الوقوع في المعاصي ؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أحصن للفرج وأغض للبصر ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" رواه البخاري ومسلم ، وهو وقاية في الآخرة من دخول النار وقد جاء في الحديث "من صام يوماً في سبيل الله بعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً " رواه البخاري . وقوله "والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار " فيه بيان عظم شأن الصدقة النافلة وأن الله تعالى يحطُّ بها الخطايا ويطفئها بها كما يطفئُ الماءُ النار ، والخطايا هي الصغائر وكذلك الكبائر مع التوبة منها ، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم إطفاء الصدقة للخطايا بإطفاء الماء النار يدل على زوال الخطايا كلها ، فإن المشاهدة في الماء إذا وقع على النار فإنه يزيلها حتى لا يبقى لها وجود.

وقوله "وصلاة الرجل في جوف الليل " هذا هو الأمر الثالث من أبواب الخير التي يُتقرب إلى الله عز وجل بها وقد تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قوله تعالى {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفسٌ ما أخفيَ لهم من قرة أعين جزآءً بما كانوا يعملون} وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل ، وقد مهد النبي صلى الله عليه وسلم لبيان أبواب الخير هذه بالاستفهام ، وذكر في قوله لمعاذ " ألا أدلك على أبواب الخير " لما في ذلك من لفت نظر معاذ إلى أهمية ما يلقى عليه ليتهيأ لذلك ويستعد لوعي كل ما يُلقى عليه] .

الشرح..

قوله عليه الصلاة والسلام " ألا أدلك على أبواب الخير" : هذا من حسن التعليم . أي قوله " ألا أدلك" ـ ولهذا كان في مثل هذا الأسلوب تشويقاً وتهيئةً للنفس لسماع ذلك .

وذكر أموراً ثلاثة ؛ ذكر صيام النفل وصدقة النفل وصلاة النفل خاصة صلاة الليل " والصلاة في جوف الليل " ؛ وتخصيص النبي عليه الصلاة والسلام لهذه النوافل الثلاث بالذكر في هذا المقام يدل على أن هذه النوافل المخصوصة بالذكر هنا هي من جماع أبواب الخير المطلوبة من العبد استحباباً لا وجوباً ؛ ففيها بيان لمكانة هذه النوافل الثلاث .

والنافلة ينبغي أن يحرص عليها العبد وأن يعتني بها إضافة إلى عنايته بالفرائض ،

وقد مر سابقاً الإشارة إلى ثلاث فوائد يستفيدها من يحافظ على النافلة .

- فالنوافل تجبر النقص الذي قد يحصل في الفريضة
- أنها تكون سياج ؛ وإذا حافظ على النوافل إضافةً إلى محافظته على الفرائض أصبح بإذن الله تبارك وتعالى معه أمر يحميه من التفريط في الفريضة وإضاعتها
- والأمر الثالث أن فعله للنوافل فيه الرفعة في الدرجات وعلو المنازل في الجنات ؛ ولهذا لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ الفرائض أتبع ذلك بذكر النوافل وذكر له أهم النوافل وأعظمها وهي صلاة النافلة وصيام النافلة وصدقة النافلة .

[خامساً : قوله " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت : بلى يا رسول الله ؛ قال :رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد " المراد بالأمر الشأن الذي هو أعظم الشؤون وهو الدين الذي بُعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الإسلام وهو عام يشمل الصلاة والجهاد وغيرهما ، وقد ذكر الصلاة ووصفها بأنها عمود الإسلام ، شبه ذلك بالبناء الذي يقوم على

أعمدته ، وهي أهم العبادات البدنية القاصر نفعها على صاحبها ثم ذكر الجهاد الذي يشمل جهاد النفس وجهاد الكفار من كفار ومنافقين ووصْفُه بأنه ذروة سنام الإسلام وذلك أن في الجهاد قوةَ المسلمين وظهور دينهم وعلوه على غيره من الأديان .

سادساً : قوله : " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه ثم قال " كف عليك هذا " ، قلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال " ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " : في هذا بيان خطر اللسان وأنه الذي يوقع في المهالك وأن ملاك الخير في حفظه حتى لا يصدر منه إلا ما هو خير حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة "

رواه البخاري ،

وقال صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " قال ابن رجب في شرح هذا الحديث في جامع العلوم والحكم " هذا يدل على أن كف اللسان و ضبطه وحبسه هو أصلُ الخير كله ، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه " . وقال : " والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرَّم وعقوباته ، فإن الإسلام يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع فمن زرع خيراً من قولٍ أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل به الناس النار النطقُ بألسنتهم فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل، ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك ، ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله عز وجل ، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالباً من قوله يقترن بها يكون معيناً عليها .

وقوله " ثكلتك أمك" : قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث " أي فقدتك حتى كانت ثكلى من فقدك " وهذه الجملة لا يراد بها معناها ؛ وإنما يُراد بها الحثُّ والإغراءُ على فهم ما يُقال ، بل إن ما جاء من ذلك في هذا الحديث وما يماثله يكون من قبيل الدعاء لمن أضيف إليه ، ويدل له الحديث في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم " يا أم سُلَيم أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر

وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاةً وقربةً يقربه بها منه يوم القيامة " ، من دقة الإمام مسلم رحمه الله وحسن ترتيبه صحيحه أنه أورد عقب هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله في معاوية رضي الله عنه " لا أشبع اللهُ بطنَه " فيكون دعاءً له وليس دعاءً عليه .

سابعاً : مما يستفاد من الحديث :

الأول : حرص الصحابة رضي الله عنهم عن الخير ومعرفة ما يوصل إلى الجنة ويباعد عن النار .

ثانياً : أن الجنة والنار موجودتان وهما باقيتان لا تفنيان .

ثالثاً : أن عبادة الله يُرجى فيها دخول الجنة والسلامة من النار وليس كما يقول بعض الصوفية إن الله لا يُعبد رغبةً في جنته ولا خوفاً من ناره .

رابعاً : بيان أهمية العمل المسؤول عنه وأنه عظيم .

خامساً : أن الطريقَ الموصلَ إلى النجاة شاق وسلوكه يحصل بتيسير الله .

سادساً : أن أهم شيء كُلف به الثقلان عبادة الله عز وجل وقد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لذلك .

سابعاً : أن عبادة الله لا تعتبر إلا إذا بُنيت على الشهادتين ، وهما متلازمتان ، ولا يُقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لله ومطابقاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثامناً : بيان عظم شأن أركان الإسلام حيث دل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عليها من بين الفرائض التي فرضها الله .

تاسعاً : أن هذه الفرائض مرتبة في أهميتها حسب ترتيبها في هذا الحديث .

عاشراً : الحث على الإتيان بالنوافل مع الإتيان بالفرائض .

الحادي عشر: أن من أهم ما يُتقرب به إلى الله بعد أداء الفرائض الصدقة والصوم وقيام الليل

الثاني عشر: بيان عظم شأن الصلاة وأنها عمود الإسلام .

الثالث عشر : بيان فضل الجهاد وأنه ذروة سنام الإسلام .

الرابع عشر: بيان خطورة اللسان وأنه يُفضي إلى المهالك ويوقع في النار .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد و آله وصحبه.

..*